شعر

سُكينة حبيب الله

خطة بديلة

براءات المتوسط

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سكينة حبيب الله

https://t.me/Post_horizon

اهداء التصوير: لشهداء غزة.

خطة بديلة

شعر

منشورات المتوسط

جميع الحقوق محفوظة©

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بحركةٍ واحدة

السقوط

إنَّهُ السقوطُ العظيمُ

ما يجعلُ نهراً

يتحوّل

إلى

شلّال.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الحالة الغامضة للسّيّد كاتب:

لا شيءَ لديهِ، ليأكلَهُ هذه الليلةَ على العشاء،
الإيجارُ المتأخّرُ سيبقى متأخّراً إلى حينٍ
والسُعالُ لن يقاطِعَهُ بأيِّ دواءٍ
الموسيقى المفضّلةُ يُصدِرُها جيبُهُ وهو يُصفِّر،
ومع أنّه بلا عملٍ على ما يبدُو
إلا أنّه يقضي الليلَ كُلّه
في «توظيفِ الكلمات».

"توظيفُ الكلمات"
يا لهُ من عملٍ يُصدِّعُ الرأس!

ثمّةَ دائماً طوابيرُ لا تنتهي
من الكلماتِ تطرقُ البالَ
فورَ أن يصلَهَا خبرُ فراغٍ مهما كان صغيراً
في سطرٍ أو قصيدة.

يشيرُ الكاتبُ إلى القاموسِ الضّخم
على المكتب»
«انظري!
الكثيراتُ
عاطلاتٌ منذ قرونٍ عن العمل،
لكنها لا تثيرُ مثلكَ كلَّ هذه الجلبة.»

لكن الكلماتِ لا تعيرُهُ أيَّ انتباه،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تستمرّ في المشي جيئةً وذهابا
بأحذيتِها ذاتِ الكعبِ العالي،
مُشوِّشةً ذهنَه
بالعطورِ الفاخرة
وهي تتكلّمُ عبرَ الهواتفِ وتضحك.

يصرخُ الكاتب:
- فلتتركْ كلُّ واحدةٍ سيرتَها المهنيّةَ هنا.

تُسرعُ كلُّ كلمةٍ لتجدَ مكاناً لها على المسوّدات.

-سنتصلُ بكِ قريباً، أيّتها الكلمات.
ويعرفُ أنّه لن يفعل.

يجلسُ عندَ النافذة
ويتمنّى لو يراها من جديدٍ
تضعُ فوقَ رأسِهَا وصلةَ الخُبزِ
أو تحملُ سطلاً عائدةً من الحمّامِ الشّعبيّ
أو فقط تُقزقِزُ بعينَيْن مغروروقَتَيْن
بذورَ عبّادِ الشمس
بلا وجهة.

وحينَ تظهرُ له
تلكَ الكلمة
التي لم تذهبْ أبداً إلى مدرسة
ولا خبرةَ بعدُ لديها في القصائد.
يتمسّكُ بقَدَمَيْهَا المتشقّقَتَيْن

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويقسم أنه لن يسمح لها أبداً
أن تذهب بعيداً من جديد.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لهذا ينسى البعضُ كلَّ شيءٍ دفعةً واحدة:

فورَ أن ترميَ به خلفَ ظَهْرِكَ
اهربْ مباشرةً، وبأقصى سُرعةٍ ممكنة.
فما يُسمُّونه «الماضي»"
ليس في حقيقةِ الأمرِ إلا قنبلةً يدوية.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من عالَمَيْن مختلفَيْن:

والآن .. على كلٍّ منهما أن يختار،

إمّا أن يكون

حقلَ الذّرةِ المحترق

أو النيّزكَ الذي ارتطمَ به

قبل أن يتفتّتَ للأبد.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

على طريقةِ البيوت:

نتقدَّمُ في السِّنِّ
على طريقةِ البيوت،

في البدايةِ يظهرُ خطٌّ صغيرٌ على الوجه
لا يأخذُهُ أحدٌ على مَحمَلِ التّجاعيد،
ومع الوقتِ .. إذ تتفاقمُ التّصدّعات
تجمعُ الأسماءُ خائفةً أغراضَها بسرعةٍ من رؤوسِنا
وتغادر
تاركةً خلفَها فراغاً مهولاً
تبني فيه قوراضُ صغيرةٌ جحورَها،
ولا تخرجُ منه إلّا حين تجوع،
كي تقضِمَ شيئاً ما في صدورِنا
مُصدِرةً خشخشة
تشتدُّ معَ كلِّ نَفَس.

إننا نتقدّمُ في السّنّ
على طريقةِ البيوت.

في النّهايةِ يعرفُ الجميعُ أنّنا آيلونَ للسقوط
يشيرُ إلى ذلكَ مرورُهم السّريع
ونظرتُهم التي تتوقّع الركام.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الماءُ الذي - يغلي - في فمي:

كانوا يعرفون أنّ فمي ..

مُجرّد بابِ ثلّاجة

سيُقفَلُ من تلقاءِ نفسهِ

بعدَ أن يُفرِغُوهُ من الضّحكِ والكلماتِ والقُبَل.

مانحاً الضّوءَ لهم فورَ أن يفتح

مُحتفِظَاً - كلّما انغلقَ - بالعتمة

والبردُ لي وحدي.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

Le Mauvais Temps

(أو: على مَتنِ بيتٍ)

فورَ أن نشعرَ بهزّةٍ خفيفةٍ، كنّا نترك كلّ ما بأيدينا، ونُسارعُ إلى دقِّ المساميرِ في كلّ شيءٍ: الكلماتِ، الذكرياتِ والقلوبِ دون أن نبالي بالدّمِ الذي يهبطُ في خيوطٍ مستقيمةٍ من الجدران.

على هذا النّحو كبرْنا: خائفين باستمرارٍ من الغرق، إنْ في الحُبّ أو الأوهامِ أو الماضي أو الأمل.

في كلِّ مرَّةٍ، كنّا ننجو، كنّا نحتفظُ بأشياءَ مالحةٍ في صدورِنا. وفورَ أن تتراجعَ الحياةُ إلى الخلفِ، تظهرُ أحلامُ أحدٍ منّا وهي تتخبّطُ بقوّةٍ على البلاطِ، في بركٍ صغيرةٍ من الدموع محاولةً فَتْحَ فمِها وإغلاقَهُ بمشقَّةٍ كبيرةٍ لتتنفَّس. وبالدور، نالَ حُلْم كلّ منا نصيبَه في أن يكون فُرجة.

في البداية، أَخافَنا المشهدُ. «أحلامٌ تتنفَّس كما لو أنَّها كائنٌ حَيٌّ!». لكنّنا، هزّةً بعدَ هزّةٍ. بدأنا نفهمُ كيف نتعامَلُ مع الوضعِ، إذ اكتسبْنا تلكَ المهارةَ في القضاءِ على الأحلامِ. صحيحٌ أنّها شيءٌ هزيل وبلا مجد، لكنّه مصدرُ خَطر في الوقتِ نفسِهِ كالأظفار: ولذلكَ علينا ألا نبالغَ فيها كثيراً، كي لا تُسبِّبَ لنا الجراحَ، الجراحَ المخيفةَ التي لا نشعرُ بها حارِقةً إلا حين يغمرُنا الماءُ، الماءُ المشوبُ بالملحِ على وجهِ الخصوصِ.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في المساءِ، وبعدَ أن نكونَ قد تعبْنا من محاولاتِ ملءِ الثقوبِ التي أحدثتِ المساميرُ في الكلماتِ والذكرياتِ والقلوبِ. وبعدَ أن نُنهيَ الشِّجارَ المعتادَ حولَ مَنْ أخذَ قلبَ مَنْ، ومَنْ جرحتْ كلماتُهُ فمَ الآخر. وبعد أن نكونَ قد تحلَّيْنا بالأسفِ اللازمِ، وأقفلَ كلٌّ منّا رأسَ الآخر بعدَ أن استعادَ ذكرياتِهِ. نجلسُ على مائدةِ الطّعامِ، ونغرزُ في حركةٍ واحدةٍ السكاكينَ في أحلامِ ذلك الواحدِ منّا، وقد تمنَّى كلٌّ منّا للآخرِ شهيّةً طيّبةً.

و في الليلِ. نرفعُ أعينَنا إلى السّقفِ. نُمعنُ النَّظَرَ إلى أن نجدَ الدّمعةَ التي تلمعُ، الدّمعةَ التي سنعرفُ من خلالِها إلى أيِّ اتّجاهٍ سنديرُ القلبَ.

هكذا مضتِ الأيّامُ باختصارٍ. كما لو أنّنا نعيشُ على مَتْنِ بيتٍ.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كلمةُ حُبٍّ صغيرةٌ:

كلمتُكَ تُشبهُ رضيعاً
تعلَّمَ المشيَ للتَّوِّ:
صغيرةٌ، أجل
لكنْ بوسعِها جعلَكَ
تضعُ يَدَكَ على قلبِكَ
طوالَ الوقت.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

جينيالوجيا البيت:

رَفَعَ الخوفُ
الجدرانَ
في البداية؛
قبلَ
أن يأتيَ
الملَلُ
ويُثقِّبَها
بالنوافذ.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

!Oh Les Maux, Oh Les mots

أو (صَرْخةٌ متقطّعةٌ)

-1-

أحفرُ الأوراقَ
من تلقاءِ أصابعِي
لأُخْرِجَكِ أيّتها الكلمات،
مع أنِّي أعرِفُ جيّداً
أن أظفاري ستذهبُ سدىً
وأنِّي إذا ما وجدتُكِ
مدفونةً في باطن الصَّمت
ستطلبينَ منِّي بأدبٍ
أن أهيلَ عليكِ الظّلامَ منْ جديد
وأعيدكِ حيثُ كنتِ
هناكَ حيثُ تنعمينَ
بالنِّسيانِ المطبق،
هناك حيثُ لا أحدَ
يقطعُ عليكِ حديثكِ الطّويل
مع أولئكَ الذين
وضعوا مبكّراً نقطةَ النّهاية
ولم يعُدْ لديهم ما يُقال.

-2-

أُريدُها الآن ..

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تلك الكلمة
التي سأكزُّ على أسناني بقوّة
وأنا أضغُهَا في فمي؛
تاركةً الحياةَ تغرزُ في صدري حديدَها
وهي تُخرِجُ الذكرياتِ الخاطئة
التي كادتْ تُودي بالقلب.

-3-

قبلَ أن تغرزي ملقطكِ في صدري
مُحاوِلةً إنقاذي
من النّدمِ القاتل
الذي استقرَّ في القلب.
مُدّي إليَّ أوّلاً أيّتها الحياةُ
الكلمةَ التي سأكزُّ على أسناني بقوّة
وأنا أضغُها في فمي.
الكلمةَ
التي ستُحوِّلُ هذه الصرخة
إلى أنين.

-4-

إنَّه صوتُ أُغنيّةٍ قديمة
ما جعلَنا نلتفِتُ بذُعرٍ إلى الماضي،
ونحنُ نحاوِلُ عبورَ
هذا الدَّغَلِ المخيف،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حيثُ الكلماتُ تضيءُ
في أيدينا المرتجفة
كمصابيحَ يدويّة
نعرفُ أنّها ستشي بمخبئِنا لِلّيل.

أعرفُكِ جيّداً أيّتها السعادة
فقد كنتِ مريحةً
مثل كرسيٍّ في حديقة.
لكنْ الآن،
وقد عمَّ الظلامُ فجأةً
عليَّ أن أسحبَكِ من بين الأشجارِ والعشب
لأُدخلَكِ إلى هذا الجَسَدِ المُعتم.
سأدوسُ عليكِ
لأطالَ مكانَ العَطَب.
و بينما أمدُّ يدي إلى قلبي
كي أفكَّهُ وأُعيدَهُ بسرعةٍ إلى مكانِه
سأدعُ الحرارةَ التي نَتَجَتْ عن الإضاءةِ لفترةٍ
طويلة
تُذيبُ أصابعي
كخُطَّةٍ بديلة.

-5-

لماذا تأخّرتَ؟

لماذا تأخّرتَ؟
ذكرياتي التي ترتجف

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تقول إنَّ جبالاً
جليديةً انهارتْ في طفولتي
و سَدَّتِ الطّريق.

لكنْ .. افعلْ شيئاً، أرجوكَ،
فالقلبُ الذي وضعتَهُ على الطاولة
كي تجدَهُ ساخناً،
بدأ يبرد.
وأنينُ القطّة
التي تسلّى أطفالُ الحَيّ
بعينَيْها طوالَ الليل؛
صارَ يستحوذُ على دموعي.

افعلْ شيئاً
افعلْ شيئاً أيّها الشِّعْر
ولا تتأخّرْ أكثر
فأنا .. لم أعدْ أتمالكُ يدي،
وقد أفتحُ البابَ في أيِّ لحظةٍ
لأضعَ أمامَ القطّةِ
هذا الشيءَ

الذي
ينبض.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الحياةُ عندَ ملتقى الطُّرُق:

وإن نكّلتِ الحجارة بمصابيحي
وإن أمطرَتْ عليّ بلا رحمة
وإنْ وقفتُ تحتَ هذه الشّمسِ اللاهبةِ، إلى أن تقشّرتْ ملامحي
وإنْ كنتُ هنا فقط لأُسلّي المتذمّرين من زحمةِ السَّيْر؛
أعرِفُ أنّي كالفتاةِ في الواجهةِ الإعلانية،

مهما حَدَث
عليّ أن أستمرّ
في
الضّحك.

قلبي:

قلبي مثلكِ، يا قطّةَ الشوارع،
هو أيضاً
كلّما سمِعَ صوتَ خطوةِ أحدٍ تقترب،
التفتَ خائفاً إلى كلِّ الجّهات
يبحثُ عن مخبأ.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الطيوزُ VS الشعراءُ:

قشّ

خيطٌ انسلَّ من فستانِ امرأةٍ ذاهبةٍ إلى موعدِ حُبّ

قشّ

ساقُ وردةٍ رمَتْها امرأةٌ عائدةٌ من موعدِ حُبٍّ،

قشّ

شَعْرةٌ طويلةٌ على سترةِ رجلٍ لم ينتبهْ إليها وهو ذاهبٌ إلى موعدِ حُبّ.

قشّ

قشّ

الكثير من القشّ.

هكذا تُبنى

الأعشاش

والقصائدُ

أيضاً.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مَنْ أنتِ؟

لم تعودي امرأةً بعد اليوم،
أنتِ بنايةٌ مهجورة
تقفُ على أرضٍ صلبة،
فيما هي منخورةٌ من الدّاخل.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقْفَةٌ:

حانَ الوقتُ
لأراجعَ أوراقي.
تقولُ الشجرة
كلّ خريف.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نسيانٌ صغيرٌ داخلَ كادر:

نصفُ الصّورةِ لنا ونحنُ نضحك،
والنّصفُ الآخرُ
للنِّسيانِ الواقفِ خلفَنا
مثلَ بوديغارد
وهو يُوزِّعُ النظراتِ القلقةَ في اتّجاهِ الماضي
والغد
مُتوقِّعاً
الغدرَ منهما
في أيّةِ لحظة.

عودةٌ:

لا عليكَ،
افتحِ البابَ الآن
ودعِ الورودَ البلاستيكيةَ التي ذبُلت
تُخبرُكَ بكلِّ شيء.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

صُورةُ تخطيطِ الصّدى لامرأةٍ عاديّة:

لا تلتفتْ إليّ، أيّها العالم؛
أنا مُجرَّد امرأةٍ عاديّة
أعلمُ أنَّ النَّظَرَ في عينَيّ
يبعثُ على التثاؤب.
عيناي اللتان
من أبيضَ وأسودَ؛
كفيلمٍ قديم.

لا تلتفتْ إليّ، أيّها العالم،
أنا مُجرّد امرأةٍ عادية
أعلمُ أنَّ النَّظَرَ في عينَيّ
يبعثُ على الخوف.
عيناي اللتان من أبيضَ وأسودَ؛
كصورةِ إيكوغرافيّ
تحملُ الخبرَ السَّيِّئ.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بالقبضةِ الفارغةِ:

لَمْلَمَتِ الحياةُ أخيراً نُباحَها من رأسي، وتركَتْني أنعمُ بالطّريق. في البداية جرَّبتُ الهرَب. لكنَّها ظلّتْ تلحقُ بي مُتمكِّنةً - في كلّ مرةٍ - من قلبي. قلباً بعدَ قلبٍ، تعلَّمتُ خُدعةً صغيرةً: نظرتُ في عينَيْها مباشرةً، وكما تهُدَّدُ كلابٌ ضالَّة بقبضةٍ فارغةٍ، هدّدتُها أنا بالخيال.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في طريقِنا، أيُّها الحُبّ:

سيُرضينا
أن تكونَ جداراً
أيّها الحُبّ،
نحنُ الظّلالُ
التي انتظَرت
السّقوطَ فيكَ
لتُبصَر نفسَها بعدَ أن كدَّست
في ذكرياتِها
كلَّ هذا الظلام.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لديّ بيتٌ في مكانٍ ما:

لم أجدْ بعدُ الطّريقَ المختصرةَ التي تُوصِلُ إليه،
ولا حتّى تلك الطّويلة
كاحتضار.
لديَّ بيتٌ في مكانٍ ما،
أنا متأكّدةٌ من ذلك ..
وإلى أن أجدَه؛
ستظلّ يداي
تجهشان كل ليلةٍ
بالمفاتيح.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الشجرة:

مظلّة

في يد

ميت.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يُحفَظُ بعيداً:

شهورٌ طويلة
جلستُها في غرفةِ انتظارٍ كئيبة
قبل أن تُناديَ الحياةُ على اسمي
وتنظرَ طويلاً في عينَيّ
كيْ تُشخِّصَ مصدرَ الألم
وتكتبَ لي أخيراً هذه الرُّوشِتّة.

••

والآن أيّها الشِّعْر
أيّها الصّيدلانيّ المتمرّس،
وحدَكَ مَنْ سيفكُّ هذه الطلاسم.
غِبْ بعضَ الشيءِ، إن أردتَ
لكنْ عِدْني أن تعودَ وتضعَ أمامي الدّواء
الذي سيعيدُ القصائدَ إلى قلبي
ويشفي هذه اليدَ
مِنْ
قلّةِ الكلمات

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الطّريقُ: ثلاثةُ تفرّعاتٍ لحُفرةٍ واحدة

-1-

ليس لأنّها كلُّ ما أملك
لا أُغيِّرُها،
بل لأنّي أريدُها أن تبلَى
- هذه الطّريق -
و بسهولةِ شَقِّ قميصٍ مهترئٍ إلى نصفَيْن،
أتركُ رغبتَيّ
في الذهاب أو العودة
كلُّ واحدةٍ منهما
تجذبُها إلى جهة
«از ز ز زْ ز زْت ت ت ت»
تتمزّق
فأُصلِّي
سريعاً
إلى النِّهاية.

Hiking :-2-

المزيدُ من اللُّهَاث
المزيدُ من اللُّهَاث
المزيدُ من اللُّهَاث
الأمرُ يستحقّ،
أنظُر

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إلى كلّ هذه الحصى
- تقولُ الطريقُ الجبلية -
إنها أسناني التي سقطت
قبلَ
أن أصلَ إلى الحكمةِ التي سأقولُ لك.

-3-

أبدأ ببابٍ، وأنتهي بآخر
ومع ذلك يُسمُّونني بالطريق:
تقولُ المسافةُ
بين البيتِ والعمل.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كانت ثماراً على شجرةٍ:

كانت ثماراً على شجرة،
إلى أن حطَّتْ على مقربةٍ منها طيورٌ
تكفّلتْ مناقيرُها الجائعةُ بالباقي.

لو سألْنَاها - تلك التي أَسمَيْناها رؤوساً فيما بعد -
عمّا حصل،
لقالتْ إنها تخيّلتْ كلَّ شيء
إلا أن ينتهيَ بها الأمر
وهي تهوي على الأرض.

بلُعبةٍ لغوية
بدأتِ القصّةُ إذنْ.
أنفٌ، أُذُنٌ، فم
بدلاً عن: ثقوب.
و ..
ذراعٌ، ساعدٌ، يدٌ، قفصٌ صدريٌّ، فخذٌ، ساقٌ، قَدَم
بدلاً عن: أغصانٍ هشَّة.
وَجهٌ
بدلاً عن ثمرةٍ فاسدة.
و...
جَسَد
بدلاً عن: عظامِ شجرة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثمرةٌ متضرِّرةٌ
تسقطُ فوقَ أغصانٍ ميتة
فيدبُّ فيها مشيٌ عظيم.
هكذا بدأتِ القصّة إذنْ
وعلينا أن نُكمِلَها حتى النهاية،
دونَ خروجٍ عن النَّصِّ،

نمشي
نبالِغُ في المشي، إن لزمَ الأمر ..
إلى أن ننسى
أننا لن نعودَ أبداً

ومهما حصَل؛
إلى الغصن
من جديد.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

اليدُ الباليةُ:

أحياناً ترتفعُ لتُلوِّح
وقد كنتَ فقط تريدُ عَدَّ الباقي والانصراف.
في بعضِ الأوقاتِ تصفعُ بقسوة
فيما نيّتُكَ الحقيقة،
كانَت وضعَها بحنانٍ على كَتِف.
وربّما تُفاجِئُكَ وهي تسقي زهرةً
في قلبِ مَنْ خطَّطتَ طويلاً
لقَتْلِه.

لا تخَفْ،
إنّها اليدُ تتذكّرُ ماضيها، ولا أحدَ باستطاعته
مَنْعها من ذلك.
فما منْ إنسانٍ على هذه الأرض
كان أوّلَ مَن استعمَل يَدَه؛
يتساوى في ذلك الجميع
لحُسن الحَظّ.

نتفهّمُ هذا جيّداً،
نتفهّم أنّ الكمّيّةَ محدودة،
و علينا تبادُلُ هذه الأيدي لآلافِ السّنين
برضا كاملٍ وبلا تأفُّف
مثلَ عائلةٍ فقيرةٍ تمرَّرُ بينها الملابسُ الرّثّة،
فما نسمّيه خطوطاً
ليس في نهاية الأمرِ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إلّا آثارَ الخياطةِ

لترقيعِ اليدِ البالية.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

شمسٌ:

كان كلُّ شيءٍ على ما يرام،
إلى أن ضربَ الضّوءُ قلبي
فانكشفَ خطُّ الصّمغِ الدّقيق
الغبارُ الكثيف
و بصماتُ الأيدي المودّعة
على النافذةِ الوحيدةِ المغلقة،
فصارَ الثّمنُ الملصقُ عليه
مُبالَغاً فيه
وانتبهَ الجميعُ إلى الصّفقةِ الخاسرة.
••
رغمَ ذلك كلّه،
قمتِ بعملٍ طيّبٍ، أيّتها الشّمس
صار بوسعِ جذورِ الشجرة
البارزةِ في رسغي أن تخضرّ
مُسهِّلةً الطريقَ على الحطّاب.
كما أنّ الأيّامَ الرّطبةَ التي أزعجتْ رائحتُها كلَّ
مَنْ دخلَ حياتي
باتَ بإمكانِها أن تخرجَ إلى الحديقة
كي تلعبَ مؤقّتاً دورَ الفزّاعة
على حبلِ الغسيل
رفقةَ ثيابي القديمة،
وتُرعبَ أطفالَ الحيّ.

الآن
هل أنظرُ إلى السّاعةِ بقلقٍ وأقولُ إنّي أترقّبُ
وصولَ شخصٍ ما؟
أتثاءبُ وأُخبرُكِ بأن عليَّ أن أنامَ؟
أشدُّ على يَدَيْكِ بلطفٍ، وأطلبُ منكِ إقفالَ القلب
جيّداً بعد أن تغادري؟
ما هي الطّريقةُ المهذّبةُ لإخبارِ الشّمسِ بأنّ وقتَ
الزيارةِ قد انتهى
لا أعرفُ.
••
سأقولُ لكِ بأنّ العينَ التي سالتْ طوالَ الطّفولة
جفّتْ تماماً بفضلِك،
كما أنّ الكلمةَ التي سبَّبتْ لي كلَّ هذا الألم
قد انفجرتْ أخيراً
وليس عليكِ أن تقلقي
فأنا لن أبتلعَ الصّديد
بل سأبصقُهُ في قصيدة
قبل أن أُضمِّدَ مكانَ الجرحِ بلساني، إلى أن
يتحوّلَ إلى صمتٍ طويل.
سأتكلّمُ كثيراً
وقد أفشي قبراً أو اثنَين،
لكنْ افهمِي من فضلِكِ بأنّ عليكِ أن تُعجّلي
بالذهاب،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لأنعمَ مثل نطفةٍ بالظّلامِ الكامل،

حيثُ زرّ .

على مَرمَى اليد،
وإعادةُ الحياةِ إلى اللقطةِ الأولى
هي التّسليةُ الوحيدة.

أنتِ أيضاً
لا تستطعينَ إطفاءَ نفسِكِ لبعضِ الوقت
أنتِ أيضاً
لم يمنحْكِ أحدٌ عينَيْه
لأكثرَ من ثوانٍ معدودة.
أنتِ أيضاً
لا تعرفين لمَنْ تُخبّئينَ كلَّ هذا الدّفء.
لا، ليس عليكِ أن تذهبي إلى أيِّ مكانٍ
بإمكانكِ أن تمكثِي معي
ربّما نتقاسمُ معاً هذا البيت،
ثمّةَ وَحْدَةٌ هائلةٌ تتّسعُ لي ولك
لستِ مذنبةً في أيّ شيء،
فالقلبُ الذي رخص
ربّما كان رخيصاً منذ البداية.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مَنْ يعرف؟ (مُلحق لليدِ البالية)

أبسطُ يديَ لقارئةِ الكَفّ
تتلمّسُ الخطوطَ الكثيرةَ - التي لا تأخذُ إلى أيّ
مكانٍ -
وتسألُني متى انكسَرتْ هذه اليد؟
وفكرةُ مَنْ كانتْ يا تُرى
إعادةُ إلصاقِ أجزائِها بهذا الشّكل؟
أشكرُها وأمضي في سعادة،
لم يكن الخَلَلُ منّي
ولا منهم.
هُو الخوفُ من أن تسقطَ مرّة أخرى
هُو ما جعلَ كلّ يدٍ
أمسكتْ بيدي
ترتجفُ
إذنْ.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نُمارسُها في الخَفَاء:

شيءٌ ما في الحياة
يبعثُ على الخجل،
يعرفُ ذلك البنّاؤون
وهم يرفعون الجُدران
في البيوت.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أعشاش:

حين كانَ يقتربُ السنونو من رؤوسِنا مُحلّقاً بسرعةِ طائرةٍ حربيةٍ في استعراضٍ جوّيٍّ، كُنا نضعُ أيدينا على رؤوسِنا خائفين كأنّها غارةٌ. علِمْنا فيما بعدُ أنه يخطفُ من رؤوسِنا بضعَ شَعْرَاتٍ، كَيْ يبني عُشَّهُ. عرفْنا أسبابَهُ، وتعاطفْنا معهُ، رُبما أحبَبْناهُ. نخرجُ إلى الشُّرفاتِ مكشوفي الرؤوسِ، كما لو أنها إناءُ حليبٍ، نقرِّبُهُ برفقٍ في اتّجاه قطّةٍ جريحةٍ، ننتظرُ أن يقتربَ ويأخذَ ما يكفيه، ونبالغُ في بعضِ الأحيانِ، فنقصُّ بضَع خُصلاتٍ، ونبسطها من النوافذ كفزّاعاتٍ صغيرة غير مُرعبة. تماماً كما كنّا نفعلُ في ساحة الحمّام حين نملأ أكفّنا بحبّات الذرة.

كنّا نتخيّل بهجة السنونو حين يُنهي عُشَّهُ، نتخيّلُ أنها شبيهةٌ بتلك التي تغمرُنا حين ننجحُ في تركيبِ أجزاءِ لعبةٍ مُفكّكة. نتخيّلُ ذلك، ونتمنّى لو باستطاعةِ شَعْرِنا أن يبنيَ لنا عُشّاً بدورنا.

يوماً بعد يومٍ، أخذتِ الطيورُ في الامّحاءِ من السّماءِ، كتاريخٍ قديمٍ على سبّورة .. كبِرْنا. فيما بقيَ شَعْرُنا يتساقطُ بانتظامٍ كلّما تقدّمْنا في السّنّ. وشيئاً فشيئاً، كنّا نُدركُ السّبب : إنّه العُمرُ، العُمرُ الذي يخطفُ من رؤوسِنا ما يخطفُ وهو يجري.

بعد كُلّ أكوامِ الشَّعرِ التي خطفَها منّا، أينَ يبني العُمرُ عُشَّهُ الضخمُ هذا؟ وكم سيلزمُهُ بعدُ كي يُنهيَ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عُشَّهُ، ويرعى صغارهُ بعيداً عن رؤوس أهلِ العالم،
أهلِ هذا العالمِ البؤساءِ الذين لا يملكون ولو شجرةً
واحدةً، يبنون عليها أعشاشَهم؟

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أربعُ محاولاتٍ لتجميعِ عظامِ جُثّة:

consultation:

- خُذْ نَفَساً عميقاً. الآن. ما الذي يُؤلِمُكَ بالضّبط؟
- لا أعرفُ. لا أعرف.
- حسناً، هل يمكنُ أن تُشيرَ إلى مكانِ الألم؟
- أحياناً يبدو كما لو أنّهُ في كلِّ مكانٍ. وفي بعضِ الأوقاتِ يكونُ هنا فقط.
- تقصدُ هنا هنا؟
- أجل، هنا. في الماضي.
-.....
- قلْ شيئاً، يا دكتور.
- أخشى أنكَ جئتَ متأخّراً.
- إذنْ، سينتهي كلُّ شيءٍ عمّا قريب؟
- بل سيستمرُّ إلى الأبد.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بالأصفرِ والأسودِ:

فريقان نحنُ على هذهِ الأرضِ
نركضُ/ نلهثُ/ نسقطُ/ ندّعي السّقوط/ نصرخُ/
نضحكُ/ نريدُ ولا نريد.
فيما الموتُ
يركضُ خلفَنا،
مُطلقاً - حين يقتضي الأمرُ - صافِرتَه
التي تجعلُ الحركةَ تتوقّف،
فقط لبعضِ الوقت
- يُحتسَبُ لاحقاً كضائع -
وحدَهُ يركضُ على هذا الملعبِ الكبير
دُونَ أن تُفرِحَهُ أو تُحزِنَهُ النّتيجة،
مُخبِّئاً في قلبِه
المهزلة:

مشهدُ الفريقينِ
وهما يخرجان في النِّهايةِ
من البوّابةِ نفسِها
دون أن يكونا - يا للخسارة! - قد توقّفا
ولو لثانيةٍ واحدة
لينظرا إلى العُشبِ الأخضرِ
ويشعرا كم هو رائع.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

العلاجُ بالأرقِ:

- أنتَ تُطالِبُ برَفْعِ أجرِكَ. ألا تجدُ الأمرَ مُضحِكاً بعضَ الشيء؟

- لا. أنا أعملُ بجدٍّ، وآن الأوانُ، ليتمَّ تقديرُ عملي.

- لكنكَ لا تقومُ بأيِّ شيءٍ تقريباً.

- أنا هنا لأجلِ أن أخافَ طوالَ الوقتِ. عملي لا يخلو من المخاطرةِ، كما ترى.

- هل تعرفُ أننا نتلقّى باستمرارٍ شكاياتٍ من الأحياءِ. يقولون فيها بأنّ بعضَ الأمواتِ يزورونَهم في المنامِ، ما يُسبِّبُ لهم فزعاً عظيماً؟ أينَ تكونُ أنتَ حين يفعلون ذلك؟ أليسَتْ هذه مهمّتَكَ؟ حراسةَ المقبرة؟

- هذا لا يُسمَّى هروباً. إنّه مثلُ ساعةِ التَّشمُّس للسجناءِ. من حقِّهم فعلُ ذلك بين وقتٍ وآخر.

- تسمحُ لهم بذلك مقابلَ ماذا؟

- مقابلَ القليلِ من الذكرياتِ القديمةِ. وأحياناً مقابلَ بعضِ الكلماتِ التي لم يحالفْهم الوقتُ لِقولِها.

- تعترفُ إذنْ أنّكَ قمتَ باستغلالِ الموتى؟

- لا أنا ولا هم.

- تريدُ القولَ إنّهم أصحابُ الشّكايات؟

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- ولا هُم حتّى. الرّابحُ الوحيدُ هو مَنْ بقيَ خارجَ هذه المقبرةِ، ولَمْ ينمْ.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

:Expired Death

هل تسمحُ لي بالاقترابِ قليلاً، يا حارسَ المقبرة؟ أريدُ أن أقترحَ عليكَ حَلاً. منظرُ مقبرةِ المدينةِ فارغةً يُقطّع القلبَ. انظُرْ إلى عُلبةِ السّردينِ المصبَّرِ في يدِكَ. السمكةُ الصّغيرةُ ماتتْ فورَ أن اصطيدَتْ، ورغمَ ذلك لن تتوقّفَ عن الموتِ إلا بمضيِّ يوم 25 من شهر يناير (كانون الثاني) من سنة 2022. على الأقلّ، هذا ما يقولُهُ تاريخُ الصّلاحية.

القُبُورُ. ألا يمكنُ أن تكونَ علبَ سردينٍ؟ فَكِّرْ في الأمرِ على هذا النَّحوِ. بدلَ أن تنقشُوا على الشّواهِدِ تاريخَ الميلادِ والوفاةِ، سَجِّلُوا تاريخَ إنتاج وآخر لانتهاءِ الصلاحية. وهكذا، يمكنُ أن تقرأَ على أحدِ القُبُورِ مثلاً:

«السّيّد ميم نون، تُوفيّ في 12/06/2018

وسينتهي تاريخُ صلاحيةِ موتِهِ في 12/06/2022

يُحفَظُ بعيداً عن الشّمسِ (نقصِدُ أخبارَ الأحياءِ السّيّئة) والرطوبةِ (يُقصَد بها البكاء)».

ستختفي بالتّدريجِ هذه القُبُورُ المغطّاةُ بزجاجِ قناني البيرةِ المتكسّرِ. سيتوافدُ النّاسُ على المقبرةِ، وسيدرجون مواعيدَ الزّياراتِ في مفكّراتِ هواتِفِهِم. وقد يستيقظُ بعضُهُم وسطَ النّومِ خائفاً، ويَدقُّ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

البابَ عليكَ في هَلَعٍ، كي تسمح له بالدّخول لرؤيةِ شخصٍ، بقيَ له يومان أو ثلاثة قبل أن يَفسدَ موتُه، ولا يعودَ صالحاً للاستعمال.

مثيرٌ أن يحصلَ ذلك، أليس كذلك، سيّدي، حارسَ المقبرة؟

ومريحٌ أيضاً.

أن يتوقّفَ الناس

بعدَ تاريخٍ معيّن

عن الوجود

سواء في الحياةِ أو في الموتِ نفسه.

قلبكَ:

رغمَ
أنّه هيكلُ سفينةٍ محطَّم
في قَعْرِ محيط.
إلّا أنّ ذلك
لم يمنعْ أسماكاً صغيرةً ملوّنة
من الدّخولِ والخروجِ عبره.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أقولُ ربّما:

أقول ربَّما وأبكي
فالأيّامُ الضارّةُ تنمو في حياتي
ويدي المُدمّاةُ تقترحُ عليّ
أن نضعَهَا في مزهرية
ونتركَ عليها مهمّةَ
حراسةِ البيتِ ريثَما نرتاح.

••

أقولُ ربّما وأرتجف
فقد اعترضت
«كلمة» العائلةِ طريقي بالأمس
ولم يتوقّفْ اشتباكُنا معاً بالأيدي
إلى حينَ قدَّمتُ لها
كلَّ ما انتظرتْ منّي تقديمَه
والآن وقد عدتُ إلى البيت
فقد اكتشفتُ أن الأزرارَ التي
انتُزعتْ على غفلةٍ منّي في العراك
هي الأصدقاء.
وليس أمامي
سوى أن أتركَ البردَ
يُرتّبُ أغراضَهُ بهدوءٍ في صدري
وأنصرف.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أقولُ ربّما وأندَم

فالصّباحُ مهما سلّطتُ عليه من ليلٍ

يُفزِعُني كلّ يومٍ بقدرتِه على النّجاة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ربطةُ عنقٍ لسُترةِ النّجاة:

جئْنا إلى هذا الشّاطئ
فقط لنتمشّى
وننسى جُرحَاً قديماً
لكنّنا أخذْنا نتقدّم
وشيئاً فشيئاً
- ودونَ أن ننتبهَ -

غمرتْنا المياهُ بجمالِها القاتل
ضربْنا بأيدينا بقوّة
إلى أن صارَ الجرحُ القديمُ قديماً بالفعل.
سنخرجُ يوماً من هذهِ الحياة،
تماماً كما خرجْنا من البحر
فَرِحِينَ بالنّجاةِ، ومرتجفينَ من البرد.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حياةٌ سابقةٌ:

لديّ أسنان
أقفُ على قَدَمَيْن
وفي عينَيّ تكدَّس ضبابٌ قديم.
لكني مع ذلك مازلتُ أُشبهُكَ، أيّها الرضيع.

أبكي بحرقةٍ دون أن يفهمَ أحدٌ لماذا.
أعرِّضُ حياتي للخطر
كلّما شعرتُ بالمَلَل.

تسليتي الوحيدةُ هيَ
رؤيةُ الأشياء تسقطُ من يدي
مرّة بعد أخرى،

وفي فمي ثمّةَ اسمٌ واحد
أُنادي به على كلّ الأشياء.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ما تركناهُ في طريقٍ .. عادَ من أخرى:

كلُّ يومٍ

كلُّ يومٍ

كلُّ ليلةٍ

رغمَ الخبرةِ الطّويلةِ

ندخلُ النَّومَ

ولا نعرفُ من أيِّ بابٍ؛

كأنّها المرّةُ الأولى.

لا فوقَ غُصنٍ مثلَ بومةٍ.

لا بعينٍ واحدةٍ مفتوحة

وأخرى مغمضة كَدُلْفِيْنٍ.

لا وقوفاً على رِجْلٍ واحدة كَفلامنغو،

وبالطّبعِ ليسَ داخلَ كهف

برأسٍ يتدلّى نحو الأسفل كَخُفَّاشٍ.

بل مستلقينَ فوق سريرٍ

بينما تسيلُ من رؤوسنا الوسائد.

هكذا نلتقطُ دونَ بقيّةِ كائناتِ العالم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تلك الطلقةَ الغادرة

ونسقطُ أرضاً كلّ ليلة

مُضرَّجينَ بالأحلام.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

:Premier arrivé, premier servi

هل كانَ باستطاعةِ أحدٍ يومَها
تجاهلَ الواجهاتِ الإعلانية
في متجرِ السّعادةِ الكبير
حيثُ كلمة
Soldes
تومِضُ وتنطفئ
في تهديدٍ واضح؟

لم يكنْ لديهم الوقتُ للاعتذار
ولا لخياطةِ زرّ قميصٍ
- كما فعلتَ أنتَ حينَ طبَّبتَ قديماً دُميةَ الدُّبِّ الأعور -
أرادُوا أن يتأكدّوا بسرعةٍ من أنّ الصورَ التي خبّؤوا داخلَكَ
تكفي لشراءِ حياةٍ أخرى جديدة
أقلَّ ذكريات وأكثرَ خفَّة.
والجلبةُ بالخارجِ
جعلتهم يتوقّعون
أنّ بمقدورِ الجميع
الوصولَ قبلَهُم إلى السّعادة.
وأمرٌ كهذا يُفقِدُ الصَّوابَ بالفعل.

كانت حصّالةً إذنْ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وعبر ذلك الجفنِ الصّغيرِ النّعسان
- الذي لم يسمحوا له بأن يغمَض -
ظلُّوا لسنينٍ
يرمونَ بالصّور
مستمتعين بصوتِها وهي ترنُّ في قلبِكَ.
ظننتَ أنّهم
سيخافون للأبدِ من أن تُسرَقَ منهم.
ويبذلون لأجلكَ الحماية
والصُّورَ اللازمة.
ونسيتَ
أنّهم
- آجلاً أم عاجلاً -
يجبُ أن يكسروكَ
وعينكَ التي ظنَّتْكَ طوالَ الوقتِ شيئاً آخر
ستُبصركَ – لأوّل مرّةٍ –
وتُريكَ أنكَ مجرّدُ حطامٍ في الفراغ،
حُطامٍ جارحٍ لا يُصحَّح.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عبرَ الأبوابِ المغلقةِ رأينا كلَّ شيءٍ:

أشكرُ إبزيمَ الحديدِ
في الحزامِ الجِلْدِيّ.
بفضلِهِ كنتُ أشاهدُ
الشَّفَقَ القطبيّ،
فقط عبر النّظرِ إلى جِلْدِي
وهو يتلوّنُ على مدارِ أيّام.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

Agrafeuse

فوقَ شفاهِنا الصَّغيرةِ الباسمة

استقرَّ الدّبّوسُ الحديدي

حين ضغطتِ السكرتيرةُ ساهيةً على الكبّاسة

كي تُثبِّتَ صورَنا المدرسية.

الآن .. كبرْنا

وكما كان متوقَّعاً

كلّما حاولْنا الكلام،

تقاطر

من أفواهِنا

الصدأ.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الوردةُ ليستِ الساقَ، السّاقُ ليستِ الوردةَ:

مجرّدُ ساقٍ
تُربّي الشوك،
كلّما شعرتْ بالنَّدم

أخرجَتْ وردة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

القلبُ:

أُحبُّ أن أُسمّيَهُ أنفَ المهرِّج.

لأنّه مستديرٌ قليلاً، ويميلُ إلى الحُمرة.

لأنّ مَنْ يراهُ يُفكّرُ بالضّغطِ عليهِ متوقّعاً صوتاً يَصدرُ منه.

لأنّ البعضَ لا يتمالكُ يَدَيْهِ بالفعلِ، ويضغطُ، ثمّ يشعرُ بعدَها بالرّاحة.

لأنّ أحداً حين يخطفُهُ على غفلةٍ من أحدٍ آخرَ، ويهربُ راكضاً، ينفجرُ الجميعُ بالضّحك.

لأنّ التّنفّسَ حقّاً صعبٌ بوجودِه.

لأنّهُ، وإن سقطَ منكَ فجأةً على الأرضِ، سيظنُّ الجميعُ أنّ ذلك جزء من العرض، وقد يصفّقون لكَ.